تعاظم دور «القوات الضاربة»

بدت الانتفاضة الشعبية في الاراضي الفلسطينية المحتلة، خلال الشهر الماضي، وكأنها تدخل مرحلة اخيرة ما قبل منعطف هام جديد لم تتأكد معالمه بعد. واذ يشير اقتراب موعد مرور عام على بدء الانتفاضة، واعلان الدولة الفلسطينية المستقلة من قبل المجلس الوطني الفلسطيني، في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر)، الى نقطة بداية المرحلة الجديدة، فان اشتداد واتساع اجراءات القمع الاسرائيلية تدل على محاولة استعادة السيطرة الكاملة، تمهيداً لخوض الصراع السياسي المقبل. وانعكست السياسة العسكرية الاسرائيلية، أيضاً، بتصعيد الضغط على المواقع والمخيمات الفلسطينية في لبنان، حيث تشهد الساحة احتمالات تفجير داخلي متزايدة، فيما شنّت التنظيمات الفدائية هجمات مضادة عدة عبر الحدود.

الحرب على الانتفاضة

تميّزت الاجراءات القمعية الاسرائيلية، بين ١٦ تشرين الاول (اكتوبر) و١٥ تشرين الثاني (نوفمبر)، بالشمولية واتساع النطاق، من جهة، وبشدة العنف من جهة أخرى؛ حيث شهدت الاراضي المحتلة العام ١٩٦٧ المزيد من عمليات دهم المدن والقرى، والعزل، وحظر التجول، اضافة الى العقوبات الجماعية، والاقتصادية، التي تخللتها أعمال الهدم والتشريد والقتل واقتناص الكوادر الفلسطينية.

فقد اصبحت عمليات دهم المدن والقرى اعتيادية ومتكررة، الى درجة انها تتكرر يومياً في أماكن عدة، وكثيراً ما تحصل خلال الليل، ولكنها تواجه، باستمرار، بالمقاومة العنيفة، كالتي اظهرتها بيت ساحور ليلة ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) بعد اعتصام الاهالي في الكنائس. وانعكست شدة الصدامات بارتفاع نسبة الاصابات الفلسطينية، وخصوصاً من الجرحى الذين زاد معدلهم اليومي على ١٥ ـ ٢٠ في أيام كثيرة؛ اذ سقط ما مجموعه ١٥ جريحاً في ١٦ تشرين الاول (اكتوبر) في اشتباكات متفرقة، و٢٠ في ٢٠ الشهر، و١٦ في ٢٧ منه، ثم ٢٢ جريحاً و١٥ و١٨ و٤٠ على التوالي، في أيام ٢ و٥ و٧ و٨ تشرين الثاني (نوفمبر). كما سقط، في الفترة عينها، ٢٢ شهيداً فلسطينياً حسب الاحصاء اليومي، منهم ثلاثة قضوا بحادثة اصطدام سيارتهم مع شاحنة عسكرية، في ١٩ تشرين الاول (اكتوبر)، وشهيد يرجّح انه قتل على أيدي جهاز المخابرات «شين بيت» قرب يعبد، في ٢٣ الشهر، ومعتقل من سعير ادعت سلطات الاحتلال بأنه انتحر في السجن، في ٢١ منه.

واذا تفاوتت التقديرات كالعادة، غير ان ادق الاحصاءات أكد ارتفاع عدد الشهداء الى ٣٧٤ حتى نهاية تشرين الاول (اكتوبر)، منهم ٢٧١ رمياً بالرصاص (**ميدل ايست انترناشونال**، ٤/١١/١٩٨٨). وقد أشارت مصادر غربية اخرى الى بلوغ العدد الى ٣٠٢ في الفترة عينها، لكن لم يشمل ذلك سوى اعترافات الجيش الاسرائيلي (**انترناشونال هيرالد تريبيون**، ٢٦/١٠/١٩٨٨). ولو اضيف الاحصاء اليومي الى بقية الفترة، يرتفع مجموع عدد الشهداء الفلسطينيين، حتى ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر)، الى ٣٨٨، وهو احصاء مقارب لعدد ٣٨١ شهيداً حسب المصادر الموثوقة الاخرى (**المصدر نفسه**، ٢/١٢/١٩٨٨). وقد اكدت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا)، في الاول من الشهر، ان المجموع العام، منذ بدء الانتفاضة، بلغ ٥١٣ شهيداً، ضمنهم حالات الاجهاض وغيرها من الوفيّات بغير الرصاص او الضرب المباشر (**وفا**، تونس، ١/١١/١٩٨٨).

تجسّدت سياسة الدهم وتوسيع نطاق القمع في زيادة عدد الاعتقالات بشكل ملحوظ، خلال الآونة الاخيرة. وباستثناء الاعتقالات اليومية الدائمة بموازاة المواجهات في الشوارع، فقد نفذت